جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

كتاب

مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي

والموسوم بـ

(قراءة النص- الإشكاليات والمناهج)

جامعة الوصل – الإمارات العربية المتحدة

2021 م

جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY
جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

كتاب

مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي

والموسوم بـ

قراءة النص – الإشكاليات والمناهج

جامعة الوصل – الإمارات العربية المتحدة

2021

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على من المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آهله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد.

فإن هذا الكتاب ثمرة يانعة، ونتاج قيِّم لما قُدِّم من بحوث، إلى المؤتمر الدولي الثاني للدراسات العليا الذي عُقد في جامعة الوصل بدبيّ يومي (25-24) من شهر نوفمبر لعام 2021م، وقد حمل عنوان (قراءة النص - الإشكاليات والمناهج)؛ حيث شرع هذا العنوان الباب على مصراعيه لطرح كثير من القضايا المحورية والمفاهيم الشائكة ذات الصلة بقراءة النص، في إطار محاور ثلاثة: أولها- النص بين المصطلح والمفهوم، وثانيها- قراءة النص بين التراث والمعاصرة، وثالثها- جدلية العلاقة بين النص وفهمه.

وبعد تحكيم الأبحاث المقدمة تم اختيار تسعة وعشرين بحثًا يعالجون قراءة النص من وجهتيه النظرية والتطبيقية، مع اتساع رقعة التطبيق لتشمل الأنماط المختلفة للنص: اللغوية، والشرعية، والاجتماعية، والإعلامية.

وكانت البحوث المختارة خير شاهد على ما اتسم به المشاركون من اختلاف في الثقافات، والبيئات، والمؤسسات المنتمين إليها، إلا أن جامعهم الأكبر ما تمتعوا به من خبرات عريضة، ورؤى متجددة، ومشاركات فاعلة.

وأما عن منهج ترتيب البحوث في هذا الكتاب فقد حاولنا أن نراعي فيها أولية التقديم، وفق الترتيب الزمني لجلسات المؤتمر، بغض النظر عن طبيعة النص أو نوع الخطاب الذي تناوله البحث؛ ذلك بعد أن قامت لجنة معنية بإعادة مراجعة وتدقيق تلك البحوث. وقد أفردنا باحثي (سمينار الوصل)، وهم طلاب الدراسات العليا الذين كان المؤتمر يرمي إلى أن يستفيدوا من زملائهم الباحثين في كل أرجاء المعمورة- أفردنا لهم قسمًا خاصًّا هو (سمينار الوصل).

ويسعدنا في هذا الصدد أن نسوق أبلغ معاني الشكر والتقدير لمعالي جمعة الماجد رئيس مجلس أمناء جامعة الوصل، لما أحاط به المؤتمر من رعاية كريمة، ولسعادة مدير الجامعة أ.د. محمد أحمد عبد الرحمن لدعمه الحثيث، ومتابعته المتواصلة، وتوجيهاته السديدة.

كما نقدم جزيل الشكر والتقدير إلى نيابة البحث العلمي واللجان العلمية، والتنظيمية، والتحكيمية، التي أسهمت في نجاح هذا المؤتمر، سائلين الله -تعالى- المزيد من الرقي والتقدم، والرفعة.

د. إبراهيم ربابعة

الرئيس التنفيذي للمؤتمر الدولي الثاني للبحث العلمي

أُعْـجُوبَـةُ النَّصّ عِنْدَ عَبْدِ القَاهِرِ الجُرْجَانِيِّ

(دَلَائِلُ الإِعْـجَازِ أُنْـمُوذَجًا)

أ. آمنة مصبح القايدي

المقدِّمة:

اعتنت كتب التراث اللُّغَوِيّ على اختلافها برعاية دقائق اللغة العربية، ومن هنا انطلقت العديد من الدراسات الحديثة مُنَقّبَةً عن ذلك الأثر الكبير في الحفاظ على اللغة بنيةً وتركيبًا واستعمالًا أدبيًّا وسياقيًّا؛ ممَّا أسهم في إبراز دورهم الفاعل في تماسك النَّصّ والحفاظ على أداء اللغة العربية أداءً سليمًا في الكتابة والنطق؛ ونَبَعَ ذلك من حرصهم على وجود تفاعل بين مؤدِّي النَّصّ ومتلقّيه، كما اعتنَوْا بضرورة إتقان النَّصّ في كل جوانبه حتى يتحقّق التفاعل والتواصل المطلوب بين مُرسِل الرسالة ومُتلقيها.

إنَّ العناية بالنَّصّ اللُّغَوِيّ ابتداءً بإتقان النطق بالصوت اللُّغَوِيّ جاءت من حرصهم على الأداء الصحيح للقرآن الكريم، فدُوِّنت كتب النحو، والمعجمات العربية، كما أُلِّفت كتب البلاغة والبيان، علاوةً على العلوم اللُّغَوِيَّة المبثوثة في تضاعيف التفاسير القرآنية التي جاء بعضها مركزًا على التحليل اللُّغَوِيّ للنصّ القرآني، وجاء البعض الآخر مناقشًا للمعنى العامّ ودلالة النَّصّ القرآني، ومنها ما جمع بينهما في محاولة من علمائنا الأُول للإحاطة بكل دقائق اللغة المُعجِزة في كتاب الله المُعْجِز.

يمكننا القول بأنَّ دارسي القرآن الكريم تعرضوا لما فيه من إعجاز في الجوانب اللُّغَوِيَّة، والعلمية، وامتازت دراساتهم بالشمولية، ولقد جاء مصنّف الجُرْجَانِيّ دلائل الإعجاز، في تفصيلاته وأبوابه ردًّا رادعًا لكل من نفى إعجاز القرآن، أو نسبه لغير الله تعالى، وامتاز النَّصّ في كتاب الدلائل بالغنى، وبتقديم الجديد في إبطال وإقصاء كل قول بعدم إعجاز القرآن الكريم.

سبب اختيار البحث:

إنَّ نص كتاب دلائل الإعجاز جاء بتفاصيل دلَّل من خلالها الجُرْجَانِيّ على أنَّ هذا الكتاب المُعجز لا يمكن أن يكون إبداعًا بشريًّا، بل هو غاية في التكامل والبناء وحسن النظم، وجاء ذلك في سياق ردّه على المعتزلة الذين شكّكوا في كلام الله تعالى، فجاء ردّه على كلامهم من خلال هذا الكتاب إبداعًا وبيانًا للأساليب القرآنية، وحسن نظمه وتصويره وبلاغته، ولقد أراد البحث أن يبين أثر نص الجُرْجَانِيّ في تغيير بعض المفاهيم من خلال نظريَّة النظم، وما جاء بعدها من آراء تؤيد رأيه، وتبدو أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

- بيان أهمية النَّصّ التراثي في اللسانيات الحديثة.
- إلقاء الضوء على نظريَّة النظم من زاوية تركز على كونها نصًّا إبداعيًّا مؤثّرًا.
- بيان التكامل في معالجة النص، وبيان إبداعه من خلال مختلف جوانب اللغة من نحو وبلاغة وتركيب وغيرها.

سيُعْنَى البحث بمحاور ثلاثة، وهي:

المحور الأول: جدلية اللفظ والنظم وأثرها في النص.

المحور الثاني: نظرة على ما بعد نظريَّة النظم.

المحور الثالث: التلاحم بين الجوانب البلاغية والنَّحْوِيَّة في خدمة النص.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي مع الاعتماد على التحليل والمناقشة؛ وذلك لبيان الإبداع في منهجية الجُرْجَانيّ في الرد الصاعق على المعتزلة، بمُؤلف أثر في تغيير الاعتقاد حول الائتلاف في النص، وأنه يجب أن يقترن بالمعنى، وأن النَّصّ القرآني هو الأنموذج الأعلى الذي تُسْتَقى منه اللغة، وعنه تُؤخَذ الأساليب، وبه يُحْتَذى في البيان وحسن التأليف.

المحور الأول: جدلية اللفظ والنظم وأثرها في النص.

تتكون اللغة العربية وغيرها من اللغات حول العالم من ألفاظ تشكّل في مجموعها أساسًا للتخاطب اللساني الإنساني، ويقوم الإنسان فِطرة برصفها معًا عند الخِطاب؛ بغية إيصال الرسالة وتحقيقًا للتفاعل والتواصل المرجوّ مع المتلقّي، وهذه العلاقة بين اللفظ ونظم تلك الألفاظ هي محور مهم من المحاور التي تناولها الجُرْجَانيّ في كتابه دلائل الإعجاز مُركّزًا على جانب ربما كان جديدًا في وقته؛ إذ ركزت الدراسات اللُّغَوِيَّة ممثلة في التأليف النَّحْوِيّ واللُّغَوِيّ بعامّة على تقعيد اللغة باستخلاص قواعدها النَّحْوِيَّة والبلاغية والتعبيرية، وانتبه الجُرْجَانيّ إلى وجود جانب مهم هو مراعاة المعنى أثناء العناية بصحة البنية النَّحْوِيَّة للنص جملة أو نصًّا، ومن هنا أحدثت نظريته الموسومة بنظريَّة النظم نقلة مؤثّرة في قواعد الرصف اللُّغَوِيّ؛ وسيتضح ذلك فيما سيأتي.

بين يدي اللفظ والنظم:

يجب بدايةً التمييز بين اللفظ والنظم من حيث الاصطلاح؛ إذ بهذا تتضح العلاقة بينهما، ولقد جاء في الكليات في تعريف اللفظ: «هو في أصل اللغة مصدر بمعنى الرمي، وهو بمعنى المفعول، فيتناول ما لم يكن صوتًا وحرفًا، وما هو حرف واحد وأكثر، مهملًا أو مستعملًا، صادرًا من الفم أو لا، لكن خُصَّ في عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفًا واحدًا أو أكثر، مهملًا أو مستعملًا، فلا يقال لفظ الله، بل يقال كلمة الله. وفي اصطلاح النحاة ما من شأنه أن يصدر من الفم من الحرف واحدًا أو أكثر، أو يجري عليه أحكامه كالعطف والإبدال، فيندرج فيه حينئذٍ كلمات الله. وكذا الضمائر التي يجب استتارها. وهذا المعنى أعمّ من الأول. وأحسن تعاريفه على ما قيل: صوت معتمد على مقطع، حقيقةً أو حكمًا، فالأول كزيد، والثاني كالضمير المستتر في (قم) المقدر بأنت»[1]؛ فاللفظ إذًا قد يكون كلمة ذات معنى، وقد يكون حرفًا واحدًا أو وأكثر، وقد يكون مهملًا أو مستعملًا، فكلمة اللفظ في اصطلاحها إذًا تدل على منطوق أو مكتوب، وتجري عليه أحكام النحو من عطف وإبدال وغير ذلك.

نجد في جهة مقابلة تعريف النظم بأنه: «العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة، وهو باعتبار وضعه أربعة أقسام: الخاصّ والعامّ والمشترك والمؤول. ووجه الحصر أنَّ اللفظ إن وضع لمعنى واحد فخاصّ، أو لأكثر فإن شمل الكل فعامّ، وإلا فمشترك إن لم يترجّح أحد معانيه، وإلا فمؤوّل»[2]؛ وتعريف النظم هنا جاء محدّدًا للكلام بأنه العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة، فجمع بين الصيغة وبين قواعد اللغة التي تجمع بين الألفاظ لتشكّل معنًى مفهومًا وناتجًا بالضرورة من اتباع قواعد العربية النَّحْوِيَّة والصرفية والبلاغية، وهذا التعريف عند الجُرْجَانيّ إنما هو بيان لانتظام الألفاظ معًا، وتحديدًا في المصحف، ولكن ما زال مفهوم النظم غير واضح، ويلحظ البحث أنّ جهود الجُرْجَانيّ في هذا الجانب أسهمت بقوة في إخراج النظم من مفهومه التقليدي إلى مفهوم دقيق ومحدد؛ وذلك من خلال ربط الرصف بالمعنى.

1- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللُّغَوِيَّة، مؤسسة الرسالة، ط. 2، 1419هـ 1998-م، لبنان، ص 795.

2- المناوي، عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح، عالم الكتب، ط.1، 1990م، ص326.

دلائل الإعجاز وكُنْهُ المعنى:

يعد كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني من الكتب التراثية التي أضافت لعلوم اللغة جانبًا مهمًّا عند رصف الكَلِمِ يرتكز على مراعاة المعنى لا على القاعدة النَّحْوِيَّة وحدها، ومن هنا انطلقت العديد من الدراسات تبحث في هذه الإضافة، وتشرح هذه النظريَّة احتفاءً بهذا الجانب الذي ركز عليه الجُرْجَانِيّ وهو جانب المعنى؛ وتبدو أهمية نظريَّة النظم أيضًا في عمل الجُرْجَانِيّ المهم الذي أسهم بـ«حلّ اللغز السائد آنذاك بخصوص التعامل مع كتاب الله، باعتبار تشعُّب الفرق والمذاهب حيث أعطى مفهومًا جديدًا للنحو في انتقاله من الجملة إلى التركيب من خلال نظريَّة النظم، التي تعد بحقّ منطلقًا خصبًا جمعت فيه النظرات النّصية»[1]؛ وبهذا الانتقال بدأ التركيز ينتقل من حيز الجملة النَّحْوِيَّة وصحة بنائها إلى صحة التركيب، ومراعاة المعنى.

لقد كانت هذه النظريَّة دعوة واضحة إلى ضرورة تحقق التوافق بين النحو والمعنى، وأنّ الكلام لا يستقيم دون مراعاة المعنى، وفي ذلك قال الجُرْجَانِيّ في مطلع رسالته الشافية - ردًّا على القول بالصرفة في إعجاز القرآن - حين قال: «اعلم أنّ لكل نوع من المعنى نوعًا من اللفظ هو به أخصّ وأولى، وضروبًا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذًا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل»[2]، والشيخ في حديثه هذا ينبهنا إلى ضرورة الدقة في اختيار النوع الأدَبِيّ الذي يناسب الموقف، فلا يستثار قوم ليثأروا لأهلهم بكلام نثري يخلو من العبارات القوية، ومن الألفاظ المرعدة الثائرة، وحبذا لو كان الكلام شعرًا يُقطِّع نياط القلوب ويستثير النخوة والحمية، وقِسْ على ذلك كل المواقف التي إن لم يحسن المتحدث اختيار كلماته فيها لما أصاب هدفه من كلامه، ولما وصل إلى ما يريده من أثر يبقى في النفوس؛ إذا فرأس الأمر ومداره هو المعنى الذي يجب مراعاته عند رصف الجمل والنصوص وفق قواعد النحو المتعارف عليها.

إنّ الجُرْجَانِيّ في دلائله تحدّث عن سرّ الإعجاز في القرآن الكريم، والمهم هنا هو الإشارة لحديثه عن النظم في القرآن، إذ يرى أنه «لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب... إلا أن يكون

1- عفاس، معمر، تجليات نحو النَّصّ عند عبد القاهر الجُرْجَانِيّ، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية، 2012-2011م، ص 14.

2- الجُرْجَانِيّ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: أبو فهر - محمد محمود شاكر، مطبعة المدني ودار المدني بجدة، ط 3، 1992م، ص 575.

اللفظ تبعًا للمعنى في النظم، وأن الكلم يترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتًا وأصداء حروفًا، لما وقع ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»[1]، وهو يقول ذلك في الكلام عامَّةً، كلام البشر تمهيدًا لحديثه عن النظم القرآني، فكيف بالقرآن الذي تأتلف حروفه وكلماته لتعبر عن معانيه بأدق المفردات وأبلغها، ويكفينا أنه لا يمكن أن يستبدل كلمة بأخرى في القرآن الكريم، وهذا من تمام إعجاز القرآن اللُّغَوِيّ وبلاغته.

والنظم يكون في الحروف والكلم، وهو في الكلم أهمّ وأجدى، وهو في الكلم أهم «لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها حسب ترتب المعاني في النفس، وليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل»[2]، وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم، وهو تناسق الألفاظ وتضامها، وهو مطلوب بالضرورة في عموم الكلام الرامي للإبانة عن المقصود، والقاصد إلى إفهام المتلقي.

يمكن المفاضلة بين قولين أو عبارتين أو خطيبين من خلال النظر إلى معنى العبارة وأثرها؛ لذلك قال الجُرْجَانِيّ: «لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى، حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها»[3]، إذا نرى أن مقياس المفاضلة ومرتكز الفرق هو التأثير الذي يبقى في نفس المتلقي، فهذا الأثر هو الذي يجعلنا نشهد لخطيب بفصاحة اللسان، ولعبارته بالروعة والسلاسة والجمال، فليس الفضل في عدد الكلم ولا في طول العبارات، ولكن فيما يتركه من تأثير وقبول، أو حزن، أو فرح، أو حماسة.

من خلال ما تقدّم يتضح أن عناية علماء العربية بالألفاظ كانت عناية خاصة تركز على ائتلاف أحرف اللفظ، والابتعاد عن عيوب الفصاحة والبيان، كما اعتنوا أيضًا بطريقة رصفه جنبًا إلى حنب مع غيره من الألفاظ وفق قواعد النحو، غير أنّ الجُرْجَانِيّ بنظريته وضّح جانبًا آخر يجب العناية به وهو الاهتمام بمراعاة المعاني وتوافقها مع الألفاظ، ومع طريقة رصفها في النص؛ إذ لا يُكتفى بمراعاة قواعد النحو بدون النظر إلى المعنى، وهذا الجانب جعل

1- الجُرْجَانِيّ (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، ص 56.

2- المرجع السابق، ص 50.

3- الجُرْجَانِيّ، دلائل الإعجاز، ص 258.

التركيز على المعنى عنصرًا ضروريًّا عند بناء الجملة أو النَّصّ عامَّةً، وجاء علماء اللسانيات حديثًا وهم ينطلقون من فكرة الجُرْجَانِيّ ذاتها، وسيتضح ذلك فيما سيأتي.

تعد هذه النظريَّة تقعيدًا واضحًا للاستعمال اللُّغَوِيّ السليم الذي يراعي قواعد النحو مع مراعاة المعنى؛ حيث إنّ نظريَّة النظم عنده هي توخي معاني النحو؛ فيقول: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله...»[1]، فما من كلمة توضع موضعًا إلا لقصدٍ، ومرجع ذلك هو المعنى الذي يقصد إليه المتكلم، ولقد تحدّث عبد القاهر عن ذلك في فصلٍ عنونه بـ «النظم هو توخي معاني الإعراب» فلا ترتيب إلا وهو ملتزم بقواعد النحو، و«معلوم أنّ من يستعمل اللغة يؤلّف بين وحدات لُغَوِيَّة صغرى بهدف بناء مكوّنات أكبر فمركبات فجمل، إلى غير ذلك.

إلا أنَّ تغيرات الرتبة في اللغة الواحدة، أو في اللغات المختلفة ليست اعتباطية أو غير محددة، بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى داخل الجملة (من فعل وفاعل ومفعول...)»[2]؛ فهو نظام يتكوّن من عناصر تأتلف معًا لتشكل التراكيب، ومن ثَمَّ الجمل، وهذه الجمل هي ارتباط الأفعال والأسماء والحروف معًا.

إنَّ النظر إلى العلاقة بين الألفاظ والمعاني وإلى حاجة مستعملي اللغة إلى تخيُّر الألفاظ وفق المعاني، ذلك أنَّ كلّ لفظة في الأصل تحمل معنى، فكيف السبيل إلى جمع مُختلف الألفاظ دون مراعاة المعنى؟

جاء الرد على ذلك في بيانٍ لهذه العلاقة بين الألفاظ والمعاني في دلائل الإعجاز في فصل بيان معنى النظم؛ حيث ساق الجُرْجَانِيّ عددًا من الأدلة منها: الاستعمال اللُّغَوِيّ للفظة ذاتها في غير موضع ممّا يؤدّي إلى اختلاف معناها وأثرها تبعًا لذلك، وكذا لو أنَّ الألفاظ تتجرّد من معانيها ودلالاتها لما حقَّ للفظ أن يتقدم على لفظ، ولا جاز لنا أن نتخير لفظًا دون آخر فيما يعرف في اللسانيات الحديثة بالعلاقات الاستبدالية بين الألفاظ.

كما أورد دليلًا آخر وهو: «أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها، لكان ينبغي أن لا يختلف

1- الجُرْجَانِيّ، دلائل الإعجاز، ص 81.

2- الفهري، عبد القادر. اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية. الدار البيضاء- المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 1982م، ص 103.

حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحُسن فيه»[1]، كما دلّلَ على ذلك بحديثه عن ترتيب الألفاظ والمعاني وأيّهما أحق بمراعاته عند النظم فقال: «إنّ الألفاظ إذ كانت أوعيةً للمعاني، فإنّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنىً أن يكون أولًا في النفس، وَجَبَ للفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أولًا في النطق. فأمّا أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فِكرًا في نظم الألفاظ،...، فباطلٌ من الظن ووهم يتخيل إلى من لا يوفِي النظر حقه»[2]، وبهذه الأدلة يقصي الجُرْجَانِيّ كل اعتقاد بتقدم اللفظ على المعنى؛ حيث استخدم الحِجَاج العقلي والمنطق ليصل بالقارئ إلى اليقين بتقدم المعاني على الألفاظ، وأن الألفاظ إنما تأتي تبعًا للمعاني.

المحور الثاني: نظرة فيما بعد نظريَّة النظم.

يعد كلٌّ من النَّصّ والسياق من المصطلحات التي شاع استخدامها على ألسنة اللسانيّين؛ ومن الضروري إدراك دور كلٍّ منهما في إيصال المعنى، ومن هنا يمكننا القول بأننا نصل إلى معاني الكلِم بالسياق، ومن المهم معرفة «أنّ سياق الوَحْدَة الكلاميَّة لا يشمل النَّصّ المشارك المجاور فحسب (إن وجد هذا)، بل يشمل كذلك الميزات ذات العلاقة المباشرة بظرف النطق»[3]، لذا فإنَّ معنى الكلمة الواردة في السياق مستنبط من معناها خارج التركيب (معناها المعجمي الأساسي)، ومعناها المكتسب من السياق؛ لذا ذهب الدكتور صائل رشدي إلى أنّ «معنى المفردة مستنبط من معناها المعجميّ ومعناها في السياق»[4].

إنَّ للكلمة المفردة عند دخولها تركيبًا ما أهمية في كونها جزءًا من الدلالة، وكونها مصاحبة لمفردات من القسم ذاته من أقسام الكلم، كما أنَّ كل مفردة تمثل صلة بينها وبين ما قبلها، وما يليها باتساقها مع سائر الكلم وتلاحمها معها، وهي إمّا مذكورة أو محذوفة أو مضمرة، وفي كل الأحوال فالمفردة أو اللفظة ذات أهمية بالغة في بناء النَّصّ، وبها يتكوَّن السياق وتـنبني عُراه.

1- الجُرْجَانِيّ، دلائل الإعجاز، ص 51.

2- الجُرْجَانِيّ، دلائل الإعجاز، ص 53-52.

3- لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، ط1، 1987م، ص 228.

4- شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2004 م، ص 17.

اللسانيّات الحديثة وتركيزها على النَّصّ كظاهرة جديدة وربطه بالسياق العامّ:

إنَّ نظريَّة النظم في اللسانيات الحديثة أُعيد تشكيلها بطريقة ما بدون تحديد الأسباب القطعية لهذا التقارب بينها كنظريَّة ابتدعها الجُرْجَانيّ، وبين مصطلح نحو النَّصّ الذي ظهر في تضاعيف اللسانيات الحديثة؛ ويُعَدُّ معنى النَّصّ كما وضعه علماء اللسانيات محورًا ذا أهمّية بالغة؛ لذا عرَّفه فان ديك الذي إليه ينسب علم النّصّ، أو نحو النّصّ؛ فقال: «النَّصّ هو بنية سطحية توجهها وتحفِّزها بنية عميقة دلالية»[1]، إذًا يرتبط بناء النَّصّ من خلال ائتلاف الكلم مع البنية العميقة التي تركز على المعنى وتوجهه؛ إذًا فالنَّصّ وَحْدَة دلالية تتألف من الألفاظ المؤتلفة معًا لتشكل جملًا، وتتحقق دلالة النَّصّ في سياق تواصلي تفاعلي بالضرورة بين المرسِل والمتلقّي؛ لذا يجب بالضرورة وجود تلاحم بين الأجزاء المكوّنة للنص بدءًا بأصغر الوحدات الصوتية، وذلك ليتحقّق للنصّ غايته، وهي الإفهام ووصول الرسالة إلى المتلقّي.

بينما نجد منهم من ركز على النَّصّ كونه أداة للتواصل؛ فانطلق شميث (Schmidt) من هذا الباب مُعَرِّفًا النَّصّ بأنَّه: «جزء حدد موضوعيًّا (محوريًّا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازية)»[2]؛ فالنَّصّ إذًا يقوم بوظيفة تواصلية في المقام الأول حسب رأيه؛ والوظيفة التواصلية للنصّ هي محور عملية الاتصال البشري.

إنَّ النَّصّ وَحْدَة دلالية، والجمل أدوات تتلاحم لتحقق كينونة النص؛ فالجملة وحدها ليست نصًّا، بل هي جزء من أيقونة متكاملة من الجمل ذات المعنى التي تأتلّف وتتّسق معًا لتشكل نصًّا مفهومًا؛ لذا جاءت اللسانيات الحديثة لتركز على النَّصّ كظاهرة جديدة، رغم أنّ النَّصّ الشعريّ والأدَبيّ، وغيره كان موجودًا ومتداولًا في كتب اللغة والأدب، حتى وسم احتراف الشعر صناعة في كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، كما وُسِمَت الكتابة والشعر بالصناعتين في كتاب أبي هلال العسكريّ، وممّا يشير إلى اعتبارهما فنّيَّينِ قائمَينِ ومحتاجَينِ إلى مهارة وإجادة ونظام يسيران عليه ليصحّ إطلاق مسمّى كتابة على نصّ، ومسمّى شعر على نصّ آخر نتيجة لتقيدهما بتلك الشروط والقواعد، التي إن اجتمعت في نصّ حكموا عليه بأنّه شعر أو كتابة أدبية، ولعل دراسة متأمّلة لتلك الاشتراطات التي

1- شبلنر، برند، علم اللغة والدراسات الأدَبيّة، تر: محمود جاد الربّ، جامعة الملك سعود الرياض، د.ت، ص56.

2- بحري، سعيد حسن، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط.1، ص 59.

وضعوها والحدود التي تخيروها تقدّم لنا جوانب مفيدة في الدرس اللسانيّ الحديث وتفتح آفاقًا جديدة في حدود النَّصّ التخاطبي المستند إلى الأدب.

إطلالة على نظريَّة النص:

بعد انتشار نظريَّة النَّصّ أو نحو النَّصّ التي اهتم بها اللسانيُّون الألمان بداية، بدأت الأنظار تتجه نحو هذه النظريَّة، وتُعنى بها أيما عناية؛ وذلك لأنّها حوّلت النَّصّ من جمل متعاقبة إلى تكامل بين البنية النَّحْوِيَّة وبين المعنى المقصود من الخطاب، ولبيان ذلك فإنَّ نحو النَّصّ يُعنى بـ«الدراسة الشكليَّة لبنية النَّصّ مثل: دراسات كرستين بروك وتودروف، وقد اتَّخذ بعض الدارسين من نحو الجملة نموذجًا لنحو النصّ، وحاول اللُّغَوِيّون العرب المعاصرون أن يقاربوا بين ما يقول الجُرْجَانيّ وما يقوله جاكبسون،...، وإنَّ الناقد الذي يذكر في سياق اهتمامه بالنحو هو عبد القاهر الجُرْجَانيّ الذي أقام علاقة جوهرية بين النظم والنحو»؛ وفي هذا إشارة إلى وجود إرهاصات أولى لدى ابن جني بتفاصيل نظريَّة النَّصّ التي تجلَّت في نظريَّة النظم، والتي أشار اللُّغَوِيّون العرب إلى وجودها في التراث العربي قبل لسانيات العصر الحديث؛ ولكن يشير بعض الكُتَّاب إلى أنّ نحو النَّصّ تأسس «مع أبحاث فان ديك الذي اعتمد على منجزات النحو التوليديّ،...؛ حيث ركّز على مفهومين أساسيين يحقّقان الربط بين الجمل، وهما: التلاحم والانسجام»[1]؛ فكأنّه انتقل تدريجيًّا من نحو الجملة الذي كان سائدًا آنذاك إلى مرحلة متقدمة وأكثر شمولية وبيانًا وهي نحو النّصّ، وفي هذا إشارة إلى أن نحو النَّصّ أو نظريَّة النَّصّ هي نموّ وتطور لنظريَّة نحو الجملة؛ بحيث انتقل الاهتمام من محور الجملة القائم على بنيتها النَّحْوِيَّة في المقام الأول إلى الاهتمام بالنَّصّ، أي قدرة الجملة أو عدد من الجمل التي تؤدّي معنى مشتركًا على التوافق بين البنية النَّحْوِيَّة والدلالة المرجوة منها.

المحور الثالث: التلاحم بين الجوانب البلاغية والنَّحْوِيَّة في خدمة النص:

إنّ النَّصّ المؤدّى مِنْ قِبَل المرسل يجب أن يتسم بالانسجام والانسجام بين كل مكونات النَّصّ من صوت، وصرف، ونحو، ودلالة، ولقد كانت عناية العلماء العرب بالدراسات اللُّغَوِيَّة أساسًا عناية بالقرآن الكريم وكل ما يرتبط به من علوم، فجاءت الدراسات النَّحْوِيَّة والبلاغية وغيرها في محاولة لإيجاد نهج للعربية المتقنة من خلال استقراء الأنموذج اللُّغَوِيّ

1- خمري، حسين، نظريَّة النَّصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة الكويت، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، العدد 107/ 27، 2007م، ص 215.

الأعلى وهو القرآن الكريم، والتقعيد للغة من خلاله، ومن هنا انطلقت الدراسات اللُّغَوِيَّة: النَّحْوِيَّة والصرفية والبلاغية في محاولة لإيجاد القواعد الأساسية لمتعلمي اللغة الجُدد من غير المسلمين حتى يتحقق لهم صحة قراءة القرآن، وتدارس علومه وعلوم العربية.

يطالعنا في الدلائل حديث عبد القاهر عن النحو ونظريَّة النظم التي عرض لها البحث سابقًا؛ كما نجد عنايته بالبلاغة أيضًا في غير موضع من مؤلفه؛ حيث يذهب «الإمام عبد القاهر الجُرْجَانِيّ ومن سار على نهجه إلى أنّ الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات، وإنما يوصف بها الكلام بعد توخّي معاني النحو فيها»[1]، أي أنّ الفصاحة هي الحكم النهائيّ على النَّصّ بعد تطبيق نظريَّة النظم عليه حسب قوله، وهنا يتضح أنّ العلاقة بين النحو والبلاغة عند عبد القاهر إنما هي علاقة تعاضد لتحقيق تماسك النص، وبمعنى أدقّ «يظهر جليًّا أنّه لا يفصل بين النحو والبلاغة، بل يجعل النحو في خدمة البلاغة، ويتجاوز حدود الإعراب وأواخر الكلم، ليحلق في المعنى ويسبر أغوار السياقات المختلفة من تقديم وتأخير وحذف واستفهام، ونفي، وإثبات... ليؤكد أنّ اللغة العربية لا ينفصل فيها المعنى عن المبنى، وأن المزية في تخير التركيب المناسب للمقام والحال»[2]، وهذا من فطنة الجُرْجَانِيّ وتنبهه للمُعول عليه في تحقق فاعلية النص، وقدرته على التأثير.

لقد أنتجت اللسانيات الحديثة بدراستها للألفاظ أيضًا مصطلحات اختصت بجواز استبدال لفظة بأخرى، وهي العلاقات الاستبدالية (Paradigmatic) وتعرف بأنها: «علاقة مع العناصر التي قد يُستبدل بها أو يقوم مقامها. فمثلًا لو تأملنا الجملة: «The cat is on the mat» لكُنَّا أمام علاقة استبدالية بين كلمتي«cat» و«dog»[3]. ومعناها «القطة على السجادة» ويمكننا أن نستبدل بالقطة الكلب وهكذا.

وهنا تبرز أهمية العلاقات الاستبدالية الموجودة في اللغة بتقديمها الفرصة لمستخدميها لتخير اللفظ المناسب، أو استبدال الأنسب للوصول للمعنى الدقيق الذي يريد إيصاله للمتلقي به، وليتجلى معنى الكلمة، فـ «معنى كل كلمة هو وظيفة المكان الذي

1- خليفة، عبود، علاقة الدرس النَّحْوِيّ بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجُرْجَانِيّ، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010-2009م، ص9.

2- المرجع السابق، ص110.

3- بالمر، ف.ر. علم الدلالة إطار جديد. ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، 1992م، ص 143.

تحتله في مكانها الخاص»[1]، ولقد أطلق عليها محمد حسن عبد العزيز في كتابه: المصاحبة في التعبير اللُّغَوِيّ مصطلح (المصاحبة الرأسية) وقسَّمها أقسامًا[2]، بينما وصفها منذر عياشي بالمحور الرأسي، غير أنّه يتحدّث عنها على مستوى الوحدات فيقول: «إن بعض العناصر (نصوص، آيات، جمل) ويمكن أن نسّميها وحدات قرآنية، لتدخل في نموذجين أو أكثر من نماذج العلاقة ضمن ظرف معين. وإنها لتستطيع أن تبرز في سياق واحد، فتقيم بهذا علاقة تبادلية مع بقية الوحدات»[3]، وهذه القدرة على الاستبدال بين الألفاظ في نصٍّ ما تبين أنّه توجد علاقات نحوية تقوم على مراعاة القواعد النَّحْوِيَّة، وأخرى تتعلق بقابلية اختيار لفظة دون أخرى في هذه الموضع، ولعلّ الجزم بالاختيار يعود إلى المعنى المقصود وإلى السياق مما يحدث توازنًا وتماسكًا في النص، وهذا الناتج يتحقق بتعاضد كل جوانب اللغة وائتلافها بما يتوافق مع المعنى والسياق.

عند الحديث عن النصّية نجد أنّ «خاصية التميز التي ينفرد بها النَّصّ عن اللانص في جملةٍ من الوسائل المختلفة، التي يتحقق بها على حَسَب تشكيلاته توسم «بالنصية» المستشفَّة من خلال اكتمال نموه وأدائه المقصديَّة المرجوَّة منه ككتلة، تتنامى في إطار جملة من المعطيات اللُّغَوِيَّة والدلالية والمقامية»[4]، وبذلك يكون النَّصّ قد بلغ درجة عالية من الإتقان وتحقق عناصر التماسك التي تجعله يستحق أن يوسم بالنصية، إذ هي مطلب ليوسم الخطاب بالنص.

1- لاينز، جون. الفصلان التاسع والعاشر من كتاب: مقدمة في علم اللغة النظري(1968).ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، كلية الآداب- جامعة البصرة، العراق، 1980م، ص 49.

2- لمزيد من المعلومات راجع كتاب: عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللُّغَوِيّ. القاهرة- مصر، دار الفكر العربي، 1990م، ص 50.

3- عياشي، منذر. اللسانيات والدلالة (الكلمة). ص 98.

4- عفاس، معمر، تجليات نحو النَّصّ عند عبد القاهر الجُرْجَانِيّ، ص43.

الخاتمة:

يعد كتاب دلائل الإعجاز أعجوبة في بيان حقائق تتعلَّق ببناء النصّ، وتحقيق تماسكه وقدرته على الإبانة عن المعاني، بتطرقه لنظريَّة النظم، ومعالجته لجوانب بلاغية تستدعي التكامل مع نحو النص، ولقد جاءت النظريات اللسانية متوافقة مع فِكْر الجُرْجَانِيّ، طارحة القضية ذاتها التي طرحها منذ عقود خَلت؛ ولقد جاءت هذه الورقة بيانًا لدور الجُرْجَانِيّ في الانتقال من التركيز على النحو كأساس للنظم إلى التنبيه والتركيز على جانب آخر وهو المعنى، ولقد خَلُص البحث إلى نتائج هي:

1. لعب الجُرْجَانِيّ دورًا مائزًا في تحويل مرتكز النظم من النحو منفردا إلى توخي معاني الإعراب.
2. ظهور نظريَّة نحو النَّصّ التي خدمت النص وأظهرت أهميته.
3. الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النصّ.
4. ضرورة وجود تلاحم بين العناصر اللُّغَوِيَّة مع الدلالة حتى يتحقّق التماسك النصّي.
5. وجود تلاحم بين الجوانب النَّحْوِيَّة والبلاغية تخدم وتعزّز المعنى المقصود.

إنّ مهمّة نجاح العملية التواصلية يرتكز بالتأكيد على: المرسل والرسالة والمتلقّي، ويعد وضوح الرسالة عنصرًا مهمًّا في نجاحها؛ لذا فإنّ توخّي معاني الإعراب يسهم في النجاح في إيصال المعنى بالتوافق مع استخدام قواعدي سليم في ضمّ الكلمة المكونة لها.

المراجع

- بالمر، ف.ر. علم الدلالة إطار جديد. ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، 1992م.
- بحري، سعيد حسن، علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط.1.
- الجُرْجَانيّ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: أبو فهر - محمد محمود شاكر، مطبعة المدني ودار المدني بجدة، ط 3، 1992م.
- خليفة، عبود، علاقة الدرس النَّحْوِيّ بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجُرْجَانيّ، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، 2009-2010م.
- خمري، حسين، نظريَّة النَّصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة الكويت، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، العدد 107/27، 2007م.
- شبلنر، برند، علم اللغة والدراسات الأدَبيّة، تر: محمود جاد الربّ، جامعة الملك سعود الرياض، د.ت.
- شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2004 م.
- عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللُّغَوِيّ. القاهرة- مصر، دار الفكر العربي، 1990م.
- عفاس، معمر، تجليات نحو النَّصّ عند عبد القاهر الجُرْجَانيّ، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية، 2011-2012م.
- عياشي، منذر. اللسانيات والدلالة (الكلمة). حلب- سوريا، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1996م.
- الفهري، عبد القادر. اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية. الدار البيضاء- المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 1982م.

- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينيّ، الكليَّات: معجم في المصطلحات والفروق اللُّغَوِيَّة، مؤسسة الرسالة، ط. 2، 1419هـ 1998-م، لبنان، ص 795.
- لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، ط1، 1987م.
- مقدمة في علم اللغة النظري(1968) ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، كلية الآداب- جامعة البصرة، العراق، 1980م.
- المناوي، عبد الرؤوف، التوقيف على مهمَّات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح، عالم الكتب، ط.1، 1990م.

فهرس الموضوعات

م	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة
1	د. فدوى تاوريريت أ. أمينة هلال	تداوليّة الخطاب الشّعري قراءة في تحوّلات مقاصد الشّعر العربيّ المعاصر	5
2	لبنى علي المفتاحي	مناهج الحداثة وما بعدها ومقاربة النص التراثي العربيّ	31
3	د. عبد الحميد إدريس الراقي	قضايا النّصّ عند الأصوليّين.. رصد لآليات الاشتغال	51
4	د. مريم عطية بوزيان	المنهج الأصولي والنظريات اللسانية قراءة في السّبق والضّبط	73
5	د. سليمان عبد القادر جبار	موارد تَشَكُّلِ النص القرآني في الدراسات الحداثية والاستشراقية	101
6	د. محمد أمجد رازق بن محمد رازق	علاقة التراث الإسلامي بمناهج البحث العلمي المعاصر -كتب الحديث النبوي وعلومه أنموذجا-	141
7	أ. د. الرشيد بوشعير	البنية البوليفونية في رواية «الديوان الإسبرطي» لعبد الوهاب عيساوي	167
8	د. خالد أحمد	قراءة نقدية من خلال نظريات ما بعد الحداثة للنص المسرحي تنصيص للكاتب فهد ردة الحارثي	181
9	د. لطيفة محمد الفارسي	شخصيات النصّ السرديّ في بنية القصص النبويّ. من القراءة المورفولوجية إلى القراءة الإحالية	229
10	أ. د. محمد عبد الحي	قراءة النص الأدبي بين التراث والمعاصرة	257
11	د. مونية مكرسي	قراءة النص اللغوي بين التراث والمعاصرة «مقاربة تأويلية في قصيدة وصف الحمى للمتنبي»	295
12	د. يونس إبراهيم أحمد العِزّي	الشعر الصوفي والتأويل أقنعة النص ومغامرة المنهج (مقاربة نظرية)	331
13	د محمد عبد الحليم أبو عرب	خطاب النبي في القرآن دراسة تداولية	371
14	د. فتيحة دوار	جُهود مالكية الغرب الإسلامي في خدمة النّص القرآني من خلال التفسير الفقهي للقرآن الكريم	401
15	د. مريم محمد بن خاتم الشامسي	نحو مفهوم جديد للقراءة البيداغوجية	437
16	د. أحمد محمد نجيب د. مجاهد جمال الحوت	التحليل اللغوي لألفاظ القرآن الكريم بين التراث والمعاصرة الزمخشري وابن عاشور أنموذجًا	455
17	محمد بن حسين الأنصاري	عُرْف النَّص التراثي رؤية منهجية من منظور التكامل في الدراسات البينية	489

18	أ. د. أحمد عبد الرحيم أحمد فراج	موقف اللغويين من العناصر غير اللغوية في التحليل النصي	535
19	عزيز محمد أوسو	البلاغة العامة وتحليل النصوص الأدبية سؤال في البنية المصطلحية	561
20	أ. آمنة مصبح القايدي	أَعْجُوبَةُ النَّصّ عِنْدَ عَبْدِ القَاهِرِ الجُرْجَانِيّ (دَلَائِلُ الإِعْجَازِ أُنْمُوذَجًا)	589
21	أ. شيخة عبدالله الزعابي	الشاهد النحوي في معجم مقاييس اللغة لابن فارس	605
22	د. حسين عمر دراوشة	قراءة النص اللغوي تداوليًا بين التراث والمعاصرة في الدراسات العربية نقد وتوجيه	637
	أبحاث سمينار الوصل		659
23	ابتسام هائل غيلان المذحجي	الآثار الجانبية للدواء في مرحلة التجارب على الإنسان دراسة فقهية	661
24	أ. تيمور سعيد أحمد شحي	تحقيق مخطوط في التراث الإسلامي موسوم بـ: يتيمة الدهر في فتاوى أهل العصر	675
25	أ. إسماعيل محمد حسن	اختيارات الرُّوْيَانِيّ (ت502هـ) في العبادات من كتابه حِلْية المؤمن: دراسة فقهية مقارنة	683
26	أ. محمد عطا الله فهد الثوابيّة	الأبعاد الفكريّة والتعليميّة في المثال النّحوي دراسة تداوليّة	689
27	أ. محمد حسين بصمه جي	التجريب في الرواية العربية	727
28	أ. سمية أحمد سالم السويدي	علاقة النظام النحوي بلغة الشعر المتنبي نموذجًا	739

شارع زعبيل – دبي – الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 97143961777+، فاكس: 97143961314+، ص. ب: 50106
البريد الإلكتروني: info@alwasl.ac.ae
موقع الجامعة: www.alwasl.ac.ae